

❦ تاريخ الادبيات العربية ❦

المراد بالادبيات هنا كل ما يتعلق بعلوم الادب من كتابة وشعر وتآليف وعلى الجملة كل اثر من آثار اللسان والقلم. وقد وقفنا على مؤلف حديث في هذا المعنى ظهر سنة ١٩٠٢ باللغة الفرنسية للاستاذ هوار احد المدرسين في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس جمع فيه من الكلام على تلك الآثار واربابها ما لم يجمع في كتاب قبله بحيث تتبع مرويات هذه اللغة من اقدم ما يؤثر منها الى هذا اليوم. ولا يخفى ما يقتضي ذلك من ثبات العزم وقوة الجلد على المطالعة والتعليق ولا سيما لمن كان اجنبي اللسان

على ان المؤلف يعترف بانه استعان بكتب الذين تقدموه من جماعته وعلى الخصوص بمؤلف الاستاذ بروكلان من اساتذة المدرسة الجامعة في برسلو من بلاد ألمانيا وهو اكثر تلك الكتب احاطة لكن ذكر ان جل ما فيه ينصرف الى تعريف فحوى المؤلفات العربية ولذلك كان بأن يعد برنامج كتب اخرى من ان يعد تاريخاً للكتاب

وقد بدأ المؤلف كتابه بذكر الشعر قبل الاسلام ثم بما كان من حال الآداب لعصر الامويين ثم العباسيين ثم ما كان منذ فتح بغداد (في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد) الى آخر القرن الثامن عشر ثم ما كان في القرن التاسع عشر. وقد استقرى الشعراء والكتاب في هذه القرون كلها في قبيلة قبيلة من قبائل العرب وفي بلد بلد من الممالك الاسلامية فذكر ما اشتهر لكل منهم مع الامام بتراجم بعضهم وبيان منزلتهم من الادب. فكان

هذا الكتاب ولا جرم من اجل ما اُثف في العرب وبيان فضلهم وما بلغوا
اليه في اَبان حضارتهم . وقد تجاوز علوم الادب الى غيرها من مثل الكيمياء
وعلم النجوم والجغرافية والطب والرياضيات والتاريخ والفلسفة والفقه وتكلم
على لغة العرب وما كان للحضارة التي طرأت عليهم من التأثير في اخلاقهم
وعاداتهم وبالتالي في لسانهم . فجمع في هذا السفر من اسماء الشعراء
والخطباء والكتّاب والعلماء واصحاب التأليف المتنوعة ما يجدر بكل عربي
ان يطلع عليه ليكون على بينة من اوليته وسلفه مما لا وجود للكثير منه
بين ايدينا وكان هذا الرجل يقول للعرب خذوا تاريخكم من رجل اعجمي
على انا لا ننكر ان في ادبنا من انتدب لتأليف كتاب جامع من
هذا القبيل تتبع فيه آداب اللغة عصرًا بعد عصر ونعني به حضرة الفاضل
محمد بك دياب من مفتشي اللغة العربية في المدارس المصرية فانه قد وضع
في ذلك مؤلفاً سماه تاريخ آداب العرب جمع فيه من اثير القوائد ونادرها
ما يعزّ الوقوف عليه في سواه ولا يدرك الا بتصفح المئات من الاسفار .
الا انه اقتصر في جلّه على تاريخ وضع علوم الادب وسرد اسماء الذين اُثفوا
فيها مع ذكر اشهر مؤلفاتهم ولم يكديذكر غير هذه الطبقة ممن له اثر في
شعر او انشاء او تأليف في شيء من العلوم وعلى الخصوص شعراء الجاهلية
فانه اقتصر على ذكر اسماء اصحاب الدواوين منهم ولم يذكر شيئاً من تراجمهم
ولا تكلم على شعرهم فكان كتابه اشبه بما وصفه المؤلف عن كتاب
بروكلان . على انه معذور في الاختصار على ذلك لفقده ما يستعان به عندنا
على معرفة تراجم المؤلفين والشعراء في كل عصر من اعصار الدولة العلية

في

المؤا

القب

الش

على

العر

الاط

لايب

ولا

عنه .

احد

الشعر

قضى

عليه ا

ابن عم

انفها .

الذي

في العرب والوقوف على كل ما كان عندهم من العلوم وما كتبوا فيها من المؤلفات فوقف عند ما ارشدته اليه معرفة الشخصية وما عندنا من العدد القليل من كتب القوم . ولذلك فقد وددنا لوانه ألحق كتابه بذكر افراد الشعراء والمصنفين وغيرهم ممن ذكروا في المؤلف الذي نحن في صدده على ان يصحح ما فرط فيه من الاوهام ويورد شواهد من كلامهم باصله العربي ولو بالتماسه من مواضعه في المكاتب الاوربية

ونحن على اعظامنا المؤلف المذكور واعترافنا بمنزلة صاحبه من سعة الاطلاع والتضلع من العربية الى حد لم نجد له غيره من اولئك المستعربين لا يسعنا الا ان نشير الى بعض ما شد فيه قلمه عن الصواب لا بقصد التنديد ولا التسوية ولكن على امل ان يصححه في الطبعات الآتية ليكون الآخذ عنه على ثقة من مضمونه

فمن اوهامه في هذا الكتاب انه لما ذكر زهير بن ابي سلمى المزني احد اصحاب المملكات (صفحة ١٤) ذكر انه من عشيرة كانوا كلهم يقولون الشعر ومنهم اختاه سلمى والخنساء . ثم قال في صفحة ١٥ ما تعريبه « وقد قضى سوء الحظ على الخنساء ان تجعل شعرها في رثاء اخيها » . فالتبس عليه التمييز بين الخنساء اخت زهير بن ابي سلمى والخنساء اخت صخر ابن عمرو بن الشريد وشتان ما بينهما فان هذه من بني سليم وتلك من بني مزينة وذكر في صفحة ٢٧ انها سميت بالخنساء اي البقرة الوحشية التي في انفها خنس . وانما اللفظ بأحد المعنيين لان الخنساء مؤنث الأخنس وهو الذي تقدمت جبهته وادبر أنفه مع بروز الارنبه وأطلقت على البقرة

الوحشية لانها لا تكون الا كذلك كما سُمي الاسد بالأختم وهو العريض
الانف والضبع بالعرجاء لانها تعرج في مشيتها وما اشبه ذلك من الصفات
التي تُستعمل خلفاً عن موصوفاتها

ومن ذلك ما رواه عن عبيد بن الابرص (ص ٢٢) انه كان يقود
سرح اخته ماوية الى الماء فطرده رجلٌ كان هناك وضربه على جبهته فماد
منكسراً ونام في ظل اشجار فانتبه شاعراً وذلك ان جنياً جاءه وهو نائم
ووضع في فيه كُبة شعر (poésie) اه . وصحة هذه القصة ما ذكره صاحب
الاغاني قال كان من حديث عبيد بن الابرص انه كان رجلاً محتاجاً ولم يكن
له مال فاقبل ذات يوم ومعه غنيمة له (تصغير غنم) ومعه اخته ماوية
ليوردا غنمها فمنعه رجلٌ من بني مالك بن ثعلبة وجبهه فانطلق حزينا
مهموماً للذي صنع به المالكى حتى اتى شجراتٍ فاستظل تحتهن فنام هو
واخته . فزعموا ان المالكى نظر اليه واخته الى جنبه فقال
ذاك عبيدٌ قد اصاب ميّاً يا ليتهُ ألّقها صبيّاً

فحمت فوضعت ضاويّاً

فسمعه عبيد فرفع يديه ثم ابتهل فقال اللهم ان كان فلانٌ ظلمي ورماني
بالبهتان فأدني منه اي اجعل لي منه دولةً وانصرني عليه . ووضع رأسه
ونام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر فذكر انه اتاه آتٍ في المنام بكُبة من
شعر حتى ألّقها في فيه ثم قال قم فقام وهو يرتجز شعراً في بني مالك ثم
استمر بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني اسد غير مدافع . انتهى . ففسر
قوله « جبهه » بمعنى ضربه على جبهته وما ننكر ان هذا اصل المعنى في

هذه اللفظة لكن المقصود هنا غير ذلك فإنه يقال جبهته أي رده عن حاجته واستقبله بما يكره فكأنه صاك جبهته وهو مجاز كما يقال غل يده وقطع لسانه وارغم انفه وهو كثير في اللغة وكله لا يراد منه حقيقة معناه كما لا يخفى .
وقرأ قوله « كبة شعر » بكسر الشين وترجم كذلك لأنه لم يخطر له وجه المناسبة بين الشعر والشعر ولم يفتن لما بينهما من المجانسة اللفظية التي كثيراً ما يعتمد عليها معبرو الاحلام واصحاب النأل كما يأولون الحية أحياناً بالحياة ويصرفون نعيم الغراب الى الغربة وما اشبه ذلك (ستأتي البقية)

العين الصناعية

من المعلوم ان ادراك المرئيات يتم بانعكاس النور عنها الى شبكية العين وانتقال التأثير الحاصل عنه الى الدماغ بواسطة الالياف العصبية فيحدث هناك شعورٌ خاص هو ادراك ذلك النور . لكن الذي علم بتكرار المراقبة ومزاولة التجارب ان هذا الادراك غير مختص بتأثير النور على الشبكية ولكن كل اثر يصل الى الالياف المذكورة يستحيل في الدماغ الى ادراك بصري . ولذلك اذا اصببت العين بلطمة شديدة رؤي الوف من الشرر وهذا ما يعبر عنه الافرنج بقولهم « رأى ستة وثلاثين الف شمعة » ولعله هو المقصود في قول عامتنا اراه نجوم الظهر . قالوا واذا جرحت الشبكية لا يشعر الجروح بالآلم ولكن يرى شبه برق شديد واذا قطع عصب البصر قطعاً فجائياً كما يحدث أحياناً في الاعمال الجراحية صعبه ظهور نور متألق